﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ [الشعراء: 105 - 110]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

بعد قصَّة الأبِ الأعظمِ الأقرَبِ جاءت قصَّة الأبِ الثّاني تدلّان على عزَّة الله ورحمته

لَمّا أَتَمَّ سُبحانَه قصَّةَ الأبِ الأعظمِ الأقرَبِ، وهو إبراهيم؛ أَتْبَعَها – دَلالةً على وصْفَي العِزَّةِ والرَّحمةِ – قصَّةَ الأبِ الثّاني، مُقَدِّمًا لها على غيرِها؛ لِما له مِن القِدَمِ في الزَّمانِ؛ إعلامًا بأنَّ البلاءَ قديمٌ، ولأنَّها أَدَلُّ على صِفتَيِ الرَّحمةِ والنِّقمةِ التي هي أَثَرُ العِزَّةِ، بطولِ الإملاءِ لهم على طولِ مدَّتِهم، ثمَّ تعميمِ النِّقمةِ مع كونِهم جميعَ أهلِ الأرضِ، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَمِينٌ﴾: (أمن) له أَصلانِ مُتقاربانِ: أحدهما الأمانةُ الَّتي هي ضدُّ الخيانَةِ، ومعناها سُكونُ القَلْبِ، والآخَرُ التَّصْديقُ[2]، يُقالُ: أَمِنْتُ الرَّجُلَ أَمنًا وأَمَنَةً وأَمانًا، وآمَنَني يُؤْمِنُني إيمانًا، والعَرَبُ تَقولُ: رَجُلٌ أُمّانٌ؛ إذا كانَ أَمينًا، والأَمينُ: القويُّ؛ لأَنَّهُ يوثَقُ بقوَّتِه[3]، والأمينُ أيضًا: الَّذي يحفظُ ما عُهِدَ له به حتَّى يُؤَدّيَهُ دونَ نَقْصٍ ولا تَغييرٍ، والرَّسولُ لا يُبعَثُ إلّا وقد كانَ معروفًا بالأَمانةِ وحُسْنِ الخُلُقِ قَبْلَ الرِّسالةِ[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 61.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).
(3) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (أمن).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 164.

2) ﴿أَجۡرٍ﴾: أصلُ (أجر) هو الجَزاءُ على العَمَلِ[1]، ومنه سُمّيَ الثَّوابُ أَجْرًا؛ لأنَّ اللّهَ يَجْزي العَبْدَ عليه، والأَجْرُ: العِوَضُ، والأجير: فعيل بمعنى فاعل أو مفاعل، والاستئجارُ: طلبُ الشَّيءِ بالأجرة[2]، والمقصودُ بالأجر في الآية: العِوَضُ والجَزاءُ على العَمَلِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تكذيبُ قومِ نوح نبيَّهم رغمَ أخوَّتِهِ لهم وأمانته عندهم وتعفُّفه عن أموالهم

يُخبرُ اللّهُ سبحانه عن جانبٍ مِن قِصَّةِ نبيِّه نوحٍ ﷺ مع قَومِه، فيقولُ: كذَّبتْ قومُ نوحٍ دعوةَ الرُّسل الواحدة بتكذيبهم رسالةَ نبيِّهم نوح ﷺ، حينَ قال لهم نوحٌ، وهو أخوهم في النَّسَبِ: ألا تتَّقونَ اللّهَ، وتَحذَرون عِقابَهُ، فتُخلِصوا له العِبادَة، وتَترُكوا عبادةَ غَيرِهِ؟ إنّي لكم رَسولٌ مِن اللّهِ، أمينٌ على وحيِه الذي بعَثَني به إليكم، فأُبلِّغُكم رسالةَ اللّه بلا زيادةٍ أو نُقصانٍ؛ إذ إنَّكم تعرفون أمانتي، فاتَّقوا سَخَطَهُ تعالى وعِقابَهُ، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه، وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ جَزاءٍ وعوض، وما أرجو ثَوابي إلّا مِنَ اللّهِ الخالِقِ الرّازِقِ، المالِكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ، فاتَّقوا سَخَطَ اللّهِ وعِقابَهُ، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه، فقد بانَ لكم صِدقي[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصلِ جملة ﴿كَذَّبَتۡ﴾ عمّا قبلها:

تسليةُ اللهِ للنَّبيِّ ﷺ وبيانُ سنَّتِهِ في عقاب المكذِّبين

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ جملة ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ عن التي قبلَها؛ لأنَّها جاءتِ استِئنافًا لِتَسليةِ الرَّسولِ ﷺ، وبيانِ سنَّةِ اللّهِ في عقابِ المكذِّبين، ناشئٌ عن قوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، أي: لا تأسَ عليهم، ولا تجزعْ، ولا تحزنْ، ولا تغتمَّ، ولا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(2) الرّاغب، المفردات: (أجر).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 602، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 119، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 151، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 19/ 81.

يعظم عليك أنَّهم كذَّبوك؛ فقد كذَّبتْ قومُ نوح المرسلين، وقد علمَ العربُ رسالةَ نوحٍ، وكذلك شأنُ أهلِ العقولِ الضّالَّة أنَّهم يعرفون الأحوالَ، وينسون أسبابها[1].

علَّةُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿كَذَّبَتْ﴾:

جـرأةُ الكافرين بنسبتِهم الكذبَ إلى نوحٍ عليه السلام

عَبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بالتَّكْذيبِ في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ لكون التَّكذيب يتناسبُ مع عنادِ الكافرين وتجرُّئِهم ومجاهرتهم بالتَّكذيب؛ إذ أصلُ الكذبِ يدلُّ على خلافِ الصِّدق، والتَّكذيبُ هو نسبةُ الآخرِ إلى الكذبِ[2] تهمةً أو افتراءً أو إنكارًا، وكأنَّهم قالوا له في جرأةٍ: كَذَبْتَ؛ لأنَّ مَعْنَى كَذَّبْتَهُ، قلتَ لَهُ: كَذَبْتَ، وأَخْبَرْتَ أَنَّهُ كاذِبٌ[3]، ولمناسبتِهِ للسّياق؛ إذ الكذبُ لا يقعُ إلّا في الخبر[4]، والسّياقُ يتحدَّث عن قومِ نوحٍ وتكذيبهم له في إخبارِهِ لهم بأنَّه رسولٌ أمين، وكذلك للتَّناسب مع ذكرِ لفظ التَّكذيب الوارد في قصص الأنبياءِ في هذه السّورة.

علَّةُ التَّعبيرِ بـ﴿قَوْمُ﴾ وسرُّ التَّأنيث:

إنـكـارُ الأقـربين أشـدُّ جـرمًـا، ولـذا هـم أهـونُ شيءٍ عـلى اللـهِ وأضعفُه

التَّعبيرُ بلفظ القوم في الآية، دون لفظِ الجماعة أنسبُ للمقام وللسّياق؛ لأنَّ القومَ في اللُّغة يشملُ جميعَ شيعة الرَّجل وعشيرته برجالِهم ونسائهم وأطفالهم، ويدلُّ على العدد الكثير[5]، بخلافِ الجماعة التي قد تُطلق على القليل والكثير ممَّن يجمعهم غرضٌ واحدٌ[6]، ومعلومٌ أنَّ قومَ نوحٍ هم أهلُ الأرض كلُّهم من الآدميين، قبل اختلافِ الأمم بتفرُّق اللغات، وهم أهلُ نوح عليه السلام وعشيرته[7]، وأمّا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 156.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كذب).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (كذب).
(4) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 43.
(5) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(6) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (جمع).
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 61.

السّياق؛ فقد ناسب لفظ ﴿أَخُوهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾، وفي إنكارِ العددِ الكبير وتكذيبِهم من الأقربين دليلٌ على شدَّة جرمهم وقبحِ نفوسِهم؛ إذ هم أولى النّاس بتصديقِ رسولهم.

وقد أنَّثَ النَّظمُ الحكيمُ لفظَ القوم بتأنيثِ فعل التَّكذيب المسند إليه - وإنْ كان تذكير القوم أشهر - لأنَّ القومَ في معنَى الجماعةِ والأمَّةِ[1]، وللتَّنبيهِ على أنَّهم - مع عتوِّهم وكثرتهم - كانوا عليه سبحانه أهونَ شيءٍ وأضعفَهُ[2]؛ لأنَّ التَّأنيث يدلُّ على الضَّعف، ولكونه أنسبَ مع ترفُّعهم بذكوريَّتهم، أو لأنَّ القومَ في اللُّغة يذكَّرُ ويؤنَّث، وكذلك كلُّ اسم جمعٍ لا واحدَ له من لفظه نحو: رهط، ونفر[3]، ويكون السّياق بذلك قد جمع بين الأمرين: تأنيثِ لفظ القوم بتأنيث فعل التَّكذيب المسندِ إليه، وتذكيرِه بالضَّمائر الرّاجعة إليه ﴿لَهُمْ﴾، ﴿أَخُوهُمْ﴾، ﴿تَتَّقُونَ﴾، وفي هذا تفنُّنٌ في اللَّفظ مُبدعٌ.

نكتةُ ذِكرِ ﴿نُوحٍ﴾ مجرَّدًا:

وضفُ نوحٍ عليه السلام بالرَّسول معلومٌ من السّياق

ذكرَ البيانُ القرآنيُّ نوحًا في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ مجرَّدًا مِن وصفِ النُّبوَّة أو الرِّسالة، فلم يقل: قومُ نبيِّ الله أو رسول الله نوح؛ اختصارًا عن زيادة في اللَّفظ؛ لكون وصفِ الرِّسالة معلومًا من لفظ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وصرَّح به في قوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

غرضُ الإضافةِ في قوله: ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾:

عظيمُ جُرمِ قومِ نـوحٍ إذ كـذَّبوه رغـــم فـضـلِـهِ عليهم

الغرضُ الأساس من الإضافة في قوله: ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ التَّعريفُ بقوم نوحٍ عليه السلام؛ وأنَّه أُرسل إليهم، فلهم مزيدُ اختصاص به؛ ولأنَّه واحدٌ منهم، وهم بين أبناءٍ له وأنسباء، فإضافتهم إلى ضميره تعريفٌ

(1) ابن جزي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 93.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 61.
(3) الفيومي، المصباح المنير: (قوم)، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 262.

لهم؛ إذ لم يكنْ لهم اسمٌ خاصٌّ من أسماءِ الأمم الواقعة من بعدُ[1]، وفي هذا إشارةٌ إلى عظيمِ جرمِهم؛ إذ كفروا به رغمَ فضلِه عليهم.

علَّةُ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾:

التَّعبيرُ بـ ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ دون (النبيّين)، في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾؛ لكون لفظِ المرسلين أبلغَ في الدَّلالة على أنَّ قومَ نوحٍ ﷺ قد كذَّبوا بالمرسلين، وما جاؤوا به من رسالاتٍ سماويَّة من عند الله؛ إذ لفظُ النَّبيّين لا يدلُّ على حملِ الرِّسالة، فالتَّعبيرُ بتكذيب المرسلين يشتمل على تكذيب الرُّسل وتكذيب الرِّسالات، وكذلك للتَّناسب مع السّياق الَّذي ذُكِرَ فيه لفظُ ﴿رَسُولٌ﴾ في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾.

التَّكذيبُ بالرُّسلِ وما جاؤوا به من رسالاتٍ أفظعُ من التَّكذيب بالنَّبيّين

دلالةُ التَّعريفِ في: ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾:

(أل) التَّعريف في قوله: ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ عهديَّةٌ، ومعهودها ذهنيٌّ، وهو نوحٌ ﷺ؛ إذ إنَّه أوَّلُ رسولٍ أُرسلَ إلى البشرية، وقومه في الحقيقة كذَّبوا رسولًا واحدًا هو نوحٌ، وهم أوَّلُ المُكَذِّبين، وقد قال سبحانه: ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١﴾ [نوح: 21]، وفي أوَّليَّة رسالةِ نوحٍ شرفٌ له ﷺ، وذمٌّ لقومه؛ إذ كانوا أوَّلَ المكذِّبين.

في أوَّليَّة رسالةِ نوحٍ شرفٌ له ﷺ وذمٌّ لقومه؛ إذ كانوا أوَّل المكذِّبين

سرُّ وضعِ الجمع ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ موضع المفرد:

مع أنَّ قومَ نوحٍ كَذَّبوا رسولًا واحدًا - وهو نوحٌ ﷺ - بدليلِ قولِه تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾، إلى قولِه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧﴾ [الشعراء: 117]، إلّا أنَّ البيانَ القرآنيَّ عبَّر بصيغة الجمع ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾؛ تعظيمًا له، أو لأنَّه لطولِ لَبْثِه فيهم كأنَّه رُسُلٌ[2]، أو للدَّلالة على أنَّهم كذَّبوا

من كذَّب رسولًا فقد كذَّب جميعَ الرُّسل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 187.
(2) الزّحيلي، التّفسير المنير: 19/ 183.

بجميع الرُّسل؛ لأنَّهم قد جاؤوا جميعًا برسالةٍ واحدة في أصولها التي لا تختلفُ باختلافِ الزمان والمكان، وهي توحيدُ اللهِ وإخلاصُ العبوديَّة له[1]؛ ولذا صار مُكَذِّبُ واحدٍ منهم مُكذِّبًا لجَميعِهم، ولجميع ما جاؤوا به من الحقِّ؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ يأمرُ بتصديقِ جميع الرُّسل[2]، أو لأنَّهم كذَّبوا نوحًا في النُّبوَّة، وفيما أخبرهم به من مجيء المرسلين بعده[3]، أو لأنَّ تكذيبَهم لم يكُنْ لأجْلِ ذاتِه، ولكنَّه كان لإحالتِهم أنْ يُرسِلَ اللهُ بشَرًا، وأنْ تكونَ عِبادةُ أصنامِهم ضَلالًا، فكان تكذيبُهم إيّاه مُقتضيًا تَكذيبَ كُلِّ رسولٍ؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ يقولُ مِثلَ ما قاله نوحٌ عليه السلام، ولذلك تكرَّر في قولِه: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشُّعراء: 123] وما بعْدَه[4]، أو أنَّه أرادَ الجِنسَ، كقولِكَ: فلانٌ يركبُ الخيلَ، وإنَّما لم يركَبْ إلّا فرَسًا واحدًا[5].

الموقعُ الإعرابيُّ لقوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾:

﴿إِذْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ظرفٌ للماضي متعلِّقٌ بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، والمعنى: (كذَّبوا نبيَّهم نوحًا وقت أن قال لهم ناصحًا ومنذرًا: أَلا تَتَّقونَ اللهَ)[6]، كأنَّهم جابهوا نوحًا عليه السلام، وهو يقول لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ بإنكارِ أصلِ الرِّسالة[7]، ولَم يَتأنَّوا بِطَلَبِ دَليلٍ، ولا ابْتِغاءِ وجْهٍ جَميلٍ[8]، كما أنَّ هذا الظَّرْفَ يشيرُ إلى أنَّ تكْذيبَهم عِبارَةٌ عَنْ زَمانٍ مَديدٍ وقَعَ فيهِ ما وقَعَ مِنَ الجانِبَيْنِ إلى تَمامِ الأمرِ، وعِبارَةٌ عَمّا صَدَرَ عَنْهم مِن ابْتِداءِ

عـدمُ تـأنّي قـومِ نـوحٍ في طلبِ الدَّليل وسرعةِ مـجـابـهـتـهِ بـالـتَّـكـذيـب في زمنٍ مديدٍ

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 262.
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 594.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 119، والشّنقيطي، دفع إيهام الاضطراب، ص: 174.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 157.
(5) ابن جزي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 93، والزّمخشري، الكشّاف: 3/ 323، والطّيبي، فتوح الغيب: 11/ 387، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 254.
(6) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 262، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 158.
(7) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5377.
(8) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 61.

دَعْوَتِهِ ﷺ إلى انْتِهائِها[1]، وهذه المعاني كلُّها التي أشارَ إليها الظَّرفُ تؤكِّدُ شدَّةَ عنادِهم وتصامُّهم عن سماعِ الحقِّ.

وجهُ تذكيرِ الضَّمائر في الآية:

الذُّكورةُ تكليفٌ لا تشريفٌ ومسؤوليَّتُها مضاعفةٌ إيمانًا وكفرًا

ذكَّر البيانُ الإلهيُّ الضَّمائرَ في ﴿لَهُمْ﴾، ﴿أَخُوهُمْ﴾، ﴿تَتَّقُونَ﴾، ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾، ﴿۞قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ﴾ العائدةَ على لفظ ﴿قَوْمُ﴾، في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ - مع أنَّه أنَّث فعلَ التَّكذيب ﴿كَذَّبَتْ﴾، ومع أنَّ لفظَ القوم يشملُ آحاد قومه العقلاء من الذُّكور والإناث؛ باعْتِبارِ لَفْظ ﴿قَوْمُ﴾ وهو لفظٌ مذكَّر جوازًا[2]، ويصحُّ هذا في كلِّ اسم جمع[3]، أو باعتبار تغليبِ الذُّكور[4]؛ لأنَّ القوامةَ لهم، وهم مسؤولون عن رعيَّتهم من النِّساء، والنِّساءُ في واقعِ الحياة لهم تبع، ولهذا فالذَّنْبُ عليهم مضاعفٌ؛ إنْ كفروا، والأجرُ لهم مضاعفٌ؛ إنْ أسلموا، وخضعوا لله سبحانه.

معنى اللامِ في قوله: ﴿لَهُمْ﴾:

دعـــوةُ نـــوحٍ خـاصَّـةٌ بقومِهِ بلَّغهم إيّاها برفقٍ ولينٍ

اللامُ في قوله: ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ لامُ التَّبليغ، "وهي الجارَّةُ لاسمِ السّامع لقولٍ أو ما في معناه"[5]، ويتمُّ بها تعديةُ فعلِ القولِ إلى المخاطَبِ بالقول، أي: بلِّغ نوحٌ قومَهُ برفقٍ ولينٍ أنْ يتَّقوا الله، وفيها ملمَحُ الاختصاص، وأنَّ هذا القول خاصٌّ بهم؛ اهتمامًا بهم وحبًّا لهم وحرصًا على مصالحهم.

نكتةُ تقديمِ: ﴿لَهُمْ﴾ على: ﴿أَخُوهُمْ﴾:

اهـتـمـامُ نـوحٍ بقومِهِ وحرصُهُ على هدايتهم إقامةٌ للحجَّةِ عليهم

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ الجار والمجرور على الفاعل، في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾؛ للاهتمامِ بهم، وأنَّهم المعنيّون بالقول، وهذا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 254.
(2) السيوطي، تفسير الجلالين، ص: 487.
(3) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1350.
(4) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 15/ 55.
(5) السّيوطي، الإتقان: 2/ 266.

من إقامةِ الحُجَّة عليهم، وفيه إشارةٌ إلى حبِّ نوحٍ ﷺ ورحمتِهِ بقومِهِ، وحرصِه على إيمانهم وهدايتهم، وهم رغم هذا الاهتمام سُمّاعٌ رسالته سماعَ تدبُّرٍ واتِّعاظ.

عِلَّةُ ذِكرِ الأخوَّةِ في قولِهِ: ﴿أَخُوهُمْ﴾:

الأليقُ بالأخوَّة أنْ تقودَ إلى المسالمةِ والاطمئنانِ والإيمانِ والتَّصديق

وصفَ البيانُ القرآنيُّ نوحًا ﷺ بالأخوَّة لقومه، في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾، والمرادُ أخوَّةُ النَّسَبِ؛ لأنَّه كان واحدًا منهم، يعرفون حَسَبَهُ ونسبه ونشأته بينهم[1]، وقد ابتعثَ اللهُ الرُّسُلَ مِن نَسَبِ مَن أُرسِلَ إليهم؛ لئلّا يشمَئِزّوا مِن الانقيادِ له، ولأنَّهم يَعرِفونَ حقيقَتَهُ، فلا يحتاجونَ أنْ يبحَثوا عنه[2]، فتكون الأخوَّة أدعى لتصديقِهِ؛ إذ الأليقُ بها أنْ تقودَ إلى المسالمة والاطمئنان والإيمان والتَّصديق، ولكنَّهم سارعوا للتَّكذيب، ولم يأبهوا لصلةِ الأخوَّة، ولم يقيموا لها حقَّها، وفي هذا زيادةٌ في تسليةِ النَّبيِّ الكريم محمَّد ﷺ؛ فقد كذَّبه قومه وأهله، وهم أعلمُ النّاس برحمته بهم وبصدقه وأمانته.

نوعُ الإضافةِ ودلالتُها في قوله: ﴿أَخُوهُمْ﴾:

أخوَّةُ نوحٍ لقومه ومعرفتهم له تستدعي منهم المسارعةَ إلى تصديقه

إضافةُ نوحٍ ﷺ إلى قومِهِ في قوله تعالى: ﴿أَخُوهُمْ﴾ إضافةُ تعريفٍ للمضافِ، بأنَّهُ أخٌ لقومِهِ في النَّسَبِ؛ تلطُّفًا في خطابهم، وبيانًا لحرصه على ما ينفعهم.

الموقعُ الإعرابيُّ ودلالتُه في ﴿نُوحٌ﴾:

﴿نُوحٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ بدلٌ من ﴿أَخُوهُمْ﴾، أو عطفُ بيانٍ منه[3]، وفيه توكيدُ نسبتهم لنوحٍ وأخوَّتهم له، واهتمامٌ بهذه الأخوَّة؛ زيادةً في استجلابهم نحو التَّصديق به.

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 262.
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 594.
(3) الهرري، حدائق الرّوح والريحان: 20/ 271.

معنى ﴿أَلَا﴾ ودلالة التَّعبيرِ بها:

إنـكـارٌ يشوبهُ الـحـضُّ أو الـعـرضُ دفعًا لـلـمـقـلِّـديـن؛ لـيـشـتـغـلـوا بـالاسـتـدلال والنظر

يجوزُ أنْ يكونَ لفظُ ﴿أَلَا﴾ في قولِه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ مُرَكَّبًا مِن حرفَينِ: همزةِ استِفهامٍ دخلَتْ على (لا) النّافيةِ، فهو استِفهامٌ عنِ انتفاءِ تَقْواهم، مُستعمَلٌ في الإنكارِ، وهو يقْتضي امتناعَهم مِنَ الامتثالِ لدَعوتِه، ويجوزُ أنْ يكونَ ﴿أَلَا﴾ حرْفًا واحدًا، هو حَرفُ التَّحضيضِ، وهو يَقتَضي تباطُؤَهم عن تَصديقِه[1]، والأجدرُ أنْ يُحضَّ، ويُحثَّ على التَّقوى كلُّ مُنكِرٍ جبّارٍ[2]، أو تكون حرف عرض، أي: ألا تتَّقون، فتحذروا عقابَهُ على كفركم به وتكذيبكم رسله، وقد قُصِدَ بهذا العرض تخويفهم؛ لأنَّ القومَ إنَّما قبلوا تلك الأديان تقليدًا، والمقلِّد إذا خوِّف؛ خاف، وما لم يستشعر بالخوف؛ لا يشتغلُ بالاستدلال والنَّظر، ولهذا السبب قُدِّم قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ على جميع كلماته[3].

دلالةُ المضارعِ في قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾:

وجـوبُ تـجـدُّدِ الـتَّـقـوى دائـمًـا حـتـى تـتـحـقَّـق النَّجاة

عبَّر النَّظمُ الحكيم عن فعل التَّقوى الذي حثَّهم عليه، وحضَّهم على الاتِّصاف به بصيغةِ المضارع، في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ للدَّلالة على وجوبِ استمرار التَّقوى وتجدُّدِها دائمًا بحسب متعلَّقاتها، أي: حضُّهم على استمرارِ التَّقوى منهم في كلِّ شؤونِ حياتِهم عن كلِّ ما يُغضبُ اللّهَ من الأقوال والأفعال؛ حتى تتحقَّقَ لهم النَّجاة.

سرُّ حذفِ مفعولِ ﴿تَتَّقُونَ﴾:

العمومُ يُفصِحُ عن كُنْهِ المطلوبِ تجنُّبُهُ منهم

في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إيجازٌ بالحَذفِ، فمُتعلَّقُ التَّقوى مَحذوفٌ؛ لشهرته وظهوره، فذِكْرُه وحذفه سواء، فيُحترز عن ذكره اختصارًا، أي: قال لهم نوح عليه السلام: ألا تتَّقونَ عذابَ اللّه وعقابَه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 158.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5377.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 520.

على شركِكم؟ أو: ألا تتَّقونَ مخالفةَ أمرِ اللّه، فتتركوا عبادتَكم للأصنامِ[1]، ويفيدُ الحذفُ كذلك العمومَ، أي: ليعمَّ كلَّ ما يجب أنْ يتَّقوه من غضبِ اللّهِ وعذابه في الدُّنيا والآخرة، ومن كلِّ أنواعِ السَّيِّئات من الكفر والمعاصي، ولو ذُكِرَ المفعولُ به؛ لأدّى ذلك إلى تخصيصِ فعل التَّقوى ببعض ممّا يجب تجنُّبُه، كما أنَّ الحذفَ أنسبُ مراعاةً لفاصلة الآيات، التي خُتِمت بالواو والنّون أو الياء والنّون، مثل: ﴿أَمِينٌ﴾، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾، بما يحقِّق إحكامَ اللفظ.

سرُّ فصلِ جملة ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

تعليلٌ لإنكارِ نوحٍ على قومه أو لحضِّهم على التَّقوى ونصحهم بها

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ جملة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عن الَّتي قبلها: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾، ولم يربطهما بعاطف؛ لِما بين الجملتين من كمالِ اتِّصالٍ؛ إذ إنَّ الجملةَ الثّانية جاءتْ تَعليلًا لإنكارِ نوحٍ على قومه، أو للتحضيض، أي: كيف تستمرّون على الشِّرك، وقد نهيتكم عنه، وأنا رسولٌ لكم أمينٌ عندكم[2]، أو تعليلًا لنصحِه لهم بالتَّقوى، أي: لأنّي رسولٌ معروفٌ بينكم بالأمانةِ وعدم الخيانة، أو الغشِّ أو المخادعة[3].

فائدةُ توالي المؤكِّداتِ في الآية:

دخولُ المؤكِّداتِ على الخبرِ يُفيدُ المبالغةَ في تحقيقِ مضمونه والاستقصاء في تبليغه

توالتِ المؤكِّدات فيما أخبرَ بهِ نوحٌ عليه السلام قومه، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، فأكَّد بـ (إنَّ) الَّتي تُفيدُ توكيدَ النِّسبةِ بين المسندِ والمسندِ إليه، وأكَّد بتقديم الجار والمجرور ﴿لَكُمْ﴾، أي: لكم خاصَّة، وبالجملة الاسميَّة التي تدلُّ على الثَّباتِ وقوَّةِ الحُكْمِ وبَقائِهِ، وبوصفِ نفسه بالأمانة ﴿أَمِينٌ﴾ بصيغة المبالغة فعيل، وبصيغة اسم

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 175.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 158.
(3) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 262.

الفاعلِ الذي يدلُّ على الثَّبات، والأمانةُ تقتضي ألّا يكذبَ على اللّه[1]، والتَّوكيدُ بالاستئناف الموجود في الجملة الذي يقتضي تأكيدَ الحكم؛ إذ جاءت الجملةُ تعليلًا لإنكارِ نوحٍ على قومه، أو لحضِّهم ونصحهم لهم بالتَّقوى، وفي توالي هذه المؤكِّدات مبالغةٌ في الدَّلالة على تحقيق كونه رسولًا أمينًا، والاستقصاءُ في إبلاغ الدَّعوة إلى قومه.

وتأكيدُ نوحٍ ﷺ بهذه المؤكِّدات مع عدَمِ سَبْقِ إنكارِهم أمانتَهُ؛ لأنَّه توقَّعَ حُدوثَ الإنكارِ؛ فاستَدلَّ عليهم بتَجربةِ أمانتِه قبْلَ تبليغِ الرِّسالةِ، فإنَّ الأمانةَ دَليلٌ على صِدقِه فيما بلَّغَهم مِن رِسالةِ اللّه، ويحتملُ أنْ يرادَ به أمينٌ من جانبِ اللّه على الأمَّةِ التي أُرسل إليها، والتَّأكيدُ أيضًا لتوقُّع الإنكار منهم[2].

سرُّ حذفِ إحدى النونين في قوله: ﴿إِنِّي﴾:

حذفَ البيانُ القرآني إحدى النونين في قوله: ﴿إِنِّي﴾ تخفيفًا، وفي هذا التخفيفِ إشارةٌ إلى حرصِ نوحٍ ﷺ على سرعةِ تبليغِ قومه، وبيانِ ما يدفعهم به إلى تصديقه، وإيماءٌ إلى تواضعه ﷺ، بأنَّه قصدَ بإخباره عن نفسِه بأنَّه رسولٌ أمين أنْ يُتَّبع، وليس قصدُهُ الافتخارَ[3].

في التَّخفيفِ إيماءٌ إلى حرصِ نوح أنْ يُتَّبع لا الافتخار بنفسه

معنى اللامِ في قوله: ﴿لَكُمْ﴾:

اللامُ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾؛ للاستحقاق والاختصاص، وهو أصلُ معانيها[4]، أي: قد أرسلني اللّهُ لكم وحدكم خاصَّةً، وهذا الاختصاصُ يدلُّ على نعمةٍ اختصَّهم اللّهُ بها تستحقُّ الشُّكرَ لا الكفر، أي: كان حريًّا بقومِ نوحٍ ﷺ أنْ يُعظِّموا هذه النِّعمة، وهي أنَّه خصَّهم بأنْ يُرسل لهم وحدهم رسولًا منهم، ولكنَّهم سارعوا إلى الكفرِ، فاستحقوا أشدَّ العذاب، وفي هذا تحذيرٌ

اختصاصُ قومِ نوحٍ برسولٍ منهم نعمةٌ لم يعرفوا حقَّها

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5377.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 158 - 159.
(3) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1350.
(4) المرادي، الجنى الدّاني، ص: 96.

للكافرين المخاطَبين من أمَّة النَّبيِّ ﷺ الذين خصَّهم اللهُ برسولٍ منهم هو رسول الله، فسارعوا إلى الكفر به.

نكتةُ تقديم ﴿لَكُمْ﴾ على: ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

اهتمامُ نوحٍ بما ينفعُ قومَهُ واختصاصهم بدعوته ترغيبٌ لهم بطريقِ الرَّشاد

أكَّد نوحٌ عليه السلام رسالته لقومه، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ بتقديم الجار والمجرور ﴿لَكُمْ﴾ على عاملِه، وهو ﴿رَسُولٌ﴾، أي: لكم خاصَّة[1]، أي: التَّقديم لإفادةِ الاختصاص، ويفيدُ كذلك الاهتمامَ بتقديم ما دلَّت عليه اللام، من كون الرِّسالة لفائدتهم؛ ترغيبًا لهم على اتِّباع دعوته.

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿رَسُولٌ﴾:

لا مندوحةَ للرَّسول عن إبلاغِ ما أُمِرَ به من الشَّرعِ الجديد

في التَّعبير بلفظِ ﴿رَسُولٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ إعلانٌ بأهليَّة دعوتِه ومصدرها بأنَّها من عند الله[2] خالقِهم، وأنَّ نوحًا عليه السلام مجرَّدُ رسولٍ يبلِّغ عن الله ما أمره به لا من عند نفسه[3]، فلا مندوحةَ له عن إبلاغِ ما أُمِرَ به[4]، وهذه هي ماهيَّةُ الرَّسولِ اللازمة في الاعتقاد - وهي كونه رسولًا - وهي تغني عن بقيَّة الأوصاف في مقام الاعتقادِ، كوصف (النَّبيِّ)، دون قيام عن غيرها عنها، فالتَّعبيرُ بالرَّسول دون (النَّبي)؛ للدَّلالة على أنَّ نوحًا عليه السلام يحملُ رسالةً وشريعةً جديدةً من الله، وقد أُمِرَ بتبليغها؛ لأنَّ الإنباءَ عن الشَّيء قد يكون من غير تحميلِ النَّبأ، وأمّا الإرسالُ؛ فلا يكون إلّا بتحميلِ رسالة، فالرَّسولُ لا يُسمّى رسولًا إلّا بوجود جهةٍ أرسلته، ولأنَّ النَّبيَّ هو من بُعِثَ لتقرير شريعةٍ سابقة، كأنبياء بني إسرائيل بين موسى وعيسى عليهما السلام، بخلاف الرَّسول[5]، كما أنَّه

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5377.
(2) البقاعيُّ، نظم الدّرر: 14/ 61.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 254.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 62.
(5) العسكريّ، الفروق اللغوية: 530 - 532.

لم يعبِّر كذلك بلفظ (مُرسَل)؛ لكون لفظ الرَّسول أنسبَ للمقام والسّياق اللَّذَين يُركِّزان على قيامِ نوحٍ بدعوةِ قومهِ إلى الإسلام؛ إذ لفظُ المُرسَل يقتضي إطلاقَ غيرهِ له، وأمّا الرَّسول؛ فيقتضي إطلاقَ لسانه بالرِّسالة[1]، وقد سبقَ في السّياق إطلاقُ نوحٍ لسانَهُ بالدَّعوة إلى رسالتهِ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾.

وفي هذا كلِّه تظهرُ المبالغةُ - من قِبَل نوحٍ عليه السلام - في إيجابِ اتِّباع الرَّسول في كلِّ تشريعاته التي أنزلها الله عليه.

دلالةُ تنكيرِ ﴿رَسُولٌ﴾:

الرِّسالةُ شأنُها عظيمٌ وأمرها فخيمٌ

نكَّر البيانُ القرآنيُّ ﴿رَسُولٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ لإفادةِ معنى التَّفخيم والتَّشريف، فالرِّسالةُ شأنها عظيمٌ، وأمرها فخيمٌ؛ لكونها من ربِّ العالمين، وتحمل الهداية للبشريَّة.

علَّةُ وصفِ الرَّسولِ بـ﴿أَمِينٌ﴾:

تكذيبُ الرَّسولِ مع الاعترافِ بأمانته دليلٌ على سفاهةِ العقول

وصْفُ نوحٍ لنفسهِ بالأمانة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تأليفٌ لقلوبِ قومهِ وترغيب لهم، وحثٌّ على تصديقه، أي: لا غشَّ عندي، كما تعلمون ذلك مني، "فكأنَّه قال: كنت أمينًا من قبلُ، فكيف تتَّهمونني اليوم؟"[2]، ولأنَّ الأمانةَ تقتضي ألّا يكذبَ على الله، فيدَّعي عليه الرِّسالة، وهو لم يرسله، وتقتضي عدمَ الخيانةِ في شيء من الأمانةِ فيما يخبرهم، فلذلك لا بدَّ من إبلاغِ جميعِ الرِّسالة[3]، ومع الأمانة الرِّعايةُ والمحبَّة، والإخلاص لهم، والبِرُّ بهم[4]، كما أنَّ في حِكايةِ استِدلالِ نوحٍ بأمانتِه بينَ قومِه - في هذه القِصَّةِ المَسوقَةِ مَثَلًا للمشركينَ في تَكذيبِهم محمَّدًا ﷺ - تعريضًا بهم؛ إذْ كذَّبوه بعْدَ أنْ كانوا يدْعونَهُ الأمينَ[5].

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 289.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 520.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 62.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5377.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 158 - 159.

دلالةُ صيغةِ فعيل في ﴿أَمِينٌ﴾:

مبالغةُ نوحٍ في تأكيد أمانةِ تبليغِ الرِّسالة تطمينٌ بصدقها وترغيبٌ باتِّباعها

﴿أَمِينٌ﴾ على وزنِ فعيل، وهي من صيغِ المبالغةِ التي تفيدُ تأكيدَ الاتِّصاف بالصِّفة، بما يدلُّ على مبالغةِ نوحٍ في تأكيدِ أمانةِ تبليغِ الرِّسالة التي كلَّفه اللّه بها، كما هي دون افتراءٍ أو زيادةٍ أو نقص، فقد "كان نوحٌ موسومًا بالأمانة لا يُتَّهمُ في قومه، كما كان محمَّدٌ ﷺ يُلقَّب بالأمين في قريش"[1]، وهذه المبالغةُ في تأكيدِ الاتِّصاف بالأمانة تطمينٌ للمخاطَبين بصدق رسالتهِ وترغيبٌ باتِّباعها.

معنى الفاءِ ودلالتُها في: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾:

علّةُ أمرِ نوحٍ لقومه بالتَّقوى كونه أمينًا فيما بينهم

(الفاءُ) في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لتَرتيبِ ما بعْدَها على ما قبْلَها، وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، أي: لترتيبِ الأمرِ بالتَّقوى على أمانته[2]، أي: حضُّهم على تقوى اللّه بعد أنْ بيَّن لهم أخوَّتَهُ لهم، وأمانته عندهم، وهذا من أحكمِ الطُّرق التي سلكها نوحٌ عليه السلام في دعوةِ قومهِ إلى اللّه[3].

علَّةُ التَّعبيرِ في قولهِ: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾:

لا علاجَ للنَّفس اللاهيةِ الجافيةِ إلّا بالتَّقوى

طالبَ نوحٌ قومَهُ بتقوى اللّهِ في قولهِ تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لأهميَّةِ التَّقوى وحُسن عاقبتها، ولأنَّ قلوبَهم جامدةٌ جافيةٌ عن ربِّها؛ إذ ليس فيها إيمانٌ بشيءٍ، ولا خوفٌ من حاضرٍ ولا غائب، ولا علاجَ للنَّفس اللاهيةِ الجافيةِ إلّا بالتَّقوى، أو الدَّعوة إليه[4].

دلالةُ الأمرِ في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾:

حضٌّ على التَّقوى لكونها ملاكَ الأمرِ كلِّه

حقيقةُ الأمرِ ﴿فَٱتَّقُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أنَّه مجازيٌّ غرضُه الحضُّ؛ إذ سلكَ نوحٌ مع قومِهِ أحكمَ الطُّرقِ في دعوتهم إلى اللّه، فهو يحضُّهم ثلاثَ مرّاتٍ على تقوى اللّه بعد أنْ يبيِّن أخوَّتَهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 158.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 254.
(3) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 10/ 262.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5377.

لهم، وأمانته عندهم، وتعفُّفَهُ عن أخذِ أجرٍ منهم في مقابل ما يدعوهم إليه من حقٍّ وخيرٍ، ومصارحته إيّاهم بأنَّ أجره إنَّما هو من اللّه ربِّ العالمين، وليس من أحدٍ سواه[1].

سرُّ التَّعبيرِ باسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾:

ذكـــرُ الاســـمِ الجليل يحقِّقُ المهابةَ والحُبَّ والتَّعظيم

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بالاسم الجليل ﴿ٱللَّهَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لتربيةِ المهابة والتَّعظيم والحُبِّ في قلوبِ المخاطَبين من قومه، أي: "أَوجدوا الخوفَ والحذرَ والتَّحرُّز من الذي اختصَّ بالجلال والجمال"[2]، ومراعاة لمقام التَّعظيم، ولمقام الرِّسالة من اللّه الذي دلَّت عليه المؤكِّدات في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

معنى الواو في قوله: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾:

جمعٌ بين إحرازِ أصلِ السَّعادة بالتَّقوى ورتبةِ كمالِ السَّعادةِ بالطّاعة

الواو في قولِه تعالى: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه جملة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[3]، والجامعُ هو أنَّ التَّقوى والطّاعة أساسُ الدّين[4]، وأنَّ كِلا الفعلين أمرٌ من نوحٍ ﷺ لقومه، أكَّد بهما إنكارَهُ أو حضَّهُ أو عرضَهُ في قوله لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾[5]، إلّا أنَّ أحدَهما بالتَّقوى، أي: الخوف والحذر والتَّحرُّز من اللّه بتوحيده؛ لتُحرزوا أصلَ السَّعادة، فتكونوا من أهلِ الجنَّة، والآخرَ بالطّاعة في كلِّ ما آمركم؛ لتُحرزوا رتبةَ الكمال في ذلك، فلا يمسُّكم عذابٌ[6].

نكتةُ تقديمِ الأمر بالتَّقوى على الإطاعة:

التَّقوى أساسُ الطّاعة ومبعثُها وبها تُثارُ القلوب إلى الـطّـاعـة والتَّسليم

في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تَقديمُ الأمرِ بتَقوى اللّهِ على الأمرِ بطاعتِهِ؛ لأنَّ تقْوَى اللّهِ سببٌ لطاعةِ نوحٍ ﷺ[7]، ولا سبيلَ لطاعتِهِ إلّا

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 262.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 62.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 62.
(4) الزّحيلي، التفسير المنير: 19/ 185.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 159.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 62.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 175، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 102.

أنْ تمتلئ نفوسُهم بالتَّقوى، ومهابةِ اللّه والخضوعِ له[1]، ولولا الخوفُ من اللّه تعالى؛ لما أطاعه النّاس[2]، أي: تقوَى اللّهِ علَّةٌ لطاعتِه، فقَدَّمَ العلَّةَ على المعلولِ[3]، ولأنَّ التَّقوى هي ملاكُ الأمرِ كلِّهِ في هذه الحياة[4]، ملاكُ استقامةِ الأفرادِ والأمم.

علَّةُ التَّعبيرِ بـ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾:

انقيادٌ وتسليمٌ عن إرادةٍ ورضًا وحبٍّ لا مجرَّدَ اقتفاءِ أثرٍ

عبَّرَ النَّظمُ الحكيمُ بوصفِ الطّاعة في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، ولم يقلْ: واتَّبعوني؛ لكون لفظِ الطاعة يتميَّزُ بمعنى الانقياد طوعًا بإرادته ودون إكراه، ولكونهِ أكثرَ ما يُقال في الائتمارِ لما أُمِرَ، والارتسامِ فيما رُسِمَ[5]، وهذا يتناسبُ مع السّياق، الذي صرَّح بهِ، من أنَّه رسولٌ يحملُ رسالةً، فيها أوامرُ ونواهٍ، لا بدَّ من الالتزام الكامل بمضمونها، ومع المقام الذي يقتضي أنْ يكون الاتِّباعُ انقيادًا وخضوعًا وتسليمًا عن إرادةٍ ورضًا وحبٍّ، لا مجرَّدَ التُّلوِّ واقتفاءِ الأثر، كما هو المعنى اللُّغويُّ للاتِّباع[6].

دلالةُ الأمرِ في قوله: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾:

حضٌّ على الانقياد والتَّسليم والخضوعِ عن حبٍّ ورضًا

الأمرُ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ مجازيٌّ، غرضُهُ الحضُّ، أي: حضَّ نوحٌ عليه السلام قومَهُ على الانقيادِ والتَّسليم والخضوعِ لِما جاءهم به.

التَّوجيهُ البلاغيُّ للقراءات في قوله: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾:

في الإثباتِ إيماءٌ بلزومِ الطّاعة وفي الحذفِ تخفيفٌ وجمالُ لفظٍ

قرأ ابن كثير ويعقوبُ قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في الموضعين، وهما: الآية [الشُّعراء: 108، 110] بإثبات الياء في الوصل والوقف، وقرأ نافعٌ وأبو

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5377.
(2) الزّحيلي، التّفسير المنير: 19/ 185.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 521، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 15/ 56.
(4) الهرري، حدائق الرّوح والريحان: 20/ 256.
(5) الرّاغب، المفردات: (طوع).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تبع).

عمرو وحمزةُ والكسائيُّ وأبو جعفر بإثباتِ الياء وصلًا لا وقفًا، وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وخلف بالحذف في الحالين[1]، واكتفَوا بالكسرات الدّالة على الياءات[2]، وفي إثباتِ الياء - أي: ياء المتكلِّم، وهو نوحٌ عليه السلام - إيماءٌ باتِّباع الرَّسول، وأنَّ طاعته من طاعةِ الله، وفي الحذفِ تخفيفٌ يومئُ بكون طاعةِ الأنبياء، والتزام طريقهم هو سبيلُ اليسرِ والسُّهولة وعدمِ ضنكِ الحياة، وأنَّ مخالفةَ الأنبياءِ سببٌ للمشقَّة والعسرِ، كما أنَّ في حذفِ الياء في الموضعين مُراعاةً للفاصلةِ القرآنية في الآيات، التي خُتِمت بالواو والنّون أو بالياء والنّون، مثل: ﴿تَتَّقُونَ﴾، ﴿أَمِينٌ﴾ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[3]، بما يحقِّق إحكامًا وجمالًا في اللَّفظ.

معنى الواوِ في قوله: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾:

جملة: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ عطْفٌ على جملة: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، والمعنى: (علمتم أنّي أمين لكم، وتعلمون أنّي لا أطلب من دعوتكم إلى الإيمان نفعًا لنفسي)[4]، أي: "لمّا أثبت أمانتَهُ؛ نفى تهمته"[5].

لمّا أثبتَ نوحٌ عليه السلام أمـانَـتَـهُ؛ نفى تهمَته

معنى (ما)، ودلالةُ التَّعبيرِ بها:

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ لمطلق النَّفي[6]، أي: ما أسألكم أجرًا أو منفعةً في أيِّ زمانٍ أو مكانٍ، واستعمالها دون غيرها؛ لقوَّةِ النَّفي بها، بما يدلُّ على مبالغةِ نوحٍ عليه السلام في نفيِ أيِّ نفعٍ دنيويٍّ، أو عرضٍ مادّيٍّ يناله لقاءَ دعوته.

مبالغةُ نوحٍ عليه السلام في نفيِ أيِّ نفعٍ دنيويٍّ ينالهُ لقاءَ دعوته

علَّةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بالسؤال في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ

استمرارُ حرصِ نـوحٍ عليه السلام على نفيِ طلبه للنَّفع الدُّنيويِّ

(1) ابن الجزري، النَّشر في القراءات العشر: 2/ 182.
(2) الأزهريّ، معاني القراءات: 2/ 231.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتَّنوير: 19/ 159.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتَّنوير: 19/ 159.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 62.
(6) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 14/ 276.

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ دون الطَّلَبِ؛ للإشارةِ إلى مبالغةِ نوحٍ ﷺ في نفيِ حرصِهِ على طلبِ الأجر على ما يدعوهم إليه من التَّوحيد والعبوديَّة لله؛ لأنَّ السُّؤال في اللُّغة هو الحاجةُ التي تحرصُ النَّفسُ عليها[1]، بينما الطَّلبُ هو الفحصُ عن وجودِ الشَّيء[2]، وأمّا التَّعبيرُ بصيغة المضارع؛ فللدَّلالةِ على استمرارِ انتفاءِ سؤالِ نوحٍ أجرًا ومنفعةً لنفسِهِ على دعوتِهِ قومَهُ، ممّا يدلُّ على عظيمِ عفَّتِهِ ﷺ، وللدَّلالةِ على تجدُّد مقولتِهِ لهم، وتكرُّرها لإشعارهم بعدمِ طَمعِهِ في مالهم؛ دفعًا لهم للنَّظرِ في نزاهةِ ما جاءهم به طمعًا في إيمانهم.

معنى حرفِ الجرِّ (على) ودلالتِهِ:

علوُّ قَدرِ ما دعا إليه نوحٌ ﷺ

يفيدُ حرفُ الجرِّ (على) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ معنى الاستعلاء، بما يشيرُ إلى علوِّ نفاسةِ ما يدعو إليه نوحٌ ﷺ، من إفرادِ اللهِ بالوحدانيَّة والعبوديَّة الخالصة؛ إذ إنَّ إبلاغَهم هذه الدعوةَ العاليةَ القدرِ العظيمةَ الجاهِ، بما يتضمنه هذا الإبلاغُ من بيانِ إخلاصِ نوحٍ في دعوته لله، وتعفُّفِهِ عن أخذِ أيِّ أجرٍ منهم، صارَ من أعلى ما يُلتفتُ إليه؛ إشعارًا بعلوِّ هذه الدَّعوة، وعظيمِ قدرها.

مرجعُ الضَّميرِ في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾:

علوُّ شأنِ دعوةِ الرُّسل وحالُ الأنبياء معها

ضميرُ ﴿عَلَيْهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ عائدٌ إلى معلومٍ من مقامِ الدَّعوة[3]، أي: على هذا الأمرِ من الدَّعوة؛ إلى إفرادِ اللهِ بالتَّوحيد، والعبوديَّةِ الخالصةِ المطلقة له دون غيره، أو على ما أنا فيه، يعني: دعاءَهُ ونُصحه[4]، أو على التَّبليغ[5]، وكلُّها معانٍ متقاربةٌ متعانقةٌ، وهذا من إيجازِ القرآن البليغ.

(1) الرّاغب، المفردات: (سول).
(2) الرّاغب، المفردات: (طلب).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 159.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 324.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 175.

نكتةُ تقديم: ﴿عَلَيۡهِ﴾ على: ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾:

دعوةُ نوحٍ لقومِهِ دعوةٌ شريفةٌ في قَـدرِها عظيمةٌ في جاهِها ولذا قُدِّمتْ

في تقديم الجار والمجرور ﴿عَلَيۡهِ﴾ على ما هو في محلِّ المفعول به ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ تشريفٌ لهذه الدَّعوةِ العاليةِ القَدْرِ، العظيمةِ الجاهِ، التي جاءَ بها نوحٌ عليه السلام، واهتمامٌ بها؛ إذ الضَّميرُ في الجار والمجرور يعودُ إليها، وفي تأخير ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ بيانٌ لعدمِ الاهتمام بالأجر.

الموقعُ الإعرابيُّ لقوله: ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾:

توكيدُ نوحٍ لنفي أيِّ أجـرٍ ممّا يتعلّق بالدُّنيا على دعوته

﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ حرفُ جرٍّ في محلِّ مفعول به، والتَّقدير: (وما أسألكم عليه أجرًا وجعلًا)[1]، و﴿مِنۡ﴾ في الآية لإفادةِ تأكيد نفي الأجر وعمومه، أي: لا أسألكم على هذا التَّبليغ أيَّ أجرٍ ممّا يتعلَّقُ بالدُّنيا، لا أسألكم جاهًا، ولا رياسةً، ولا سلطانًا، ولا غايةً، ولا مالًا، ولا أيَّ عرضٍ من أعراضِ الدُّنيا[2]، ولا يتعارضُ ذلك مع قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: 23]؛ لكون الاستثناء فيها من غير جنسِ المستثنى منه، والتَّقدير: (لكن أذكِّركم المودَّةَ في القربى)[3].

علَّةُ التَّعبير بـ﴿أَجۡرٍۖ﴾:

نفيُ نـوحٍ أخْـذَ أيِّ عِـوَضٍ عن دعوته مهما كان نوعه، دليلٌ على كمالِ تعفُّفه

عبَّر النَّظمُ الحكيمُ بلفظِ الأجر في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾؛ لكونه أوسعَ دلالةً من المال، فالأجرُ: هو العوضُ على عملٍ، سواءٌ كان مالًا أم أيَّ منفعةٍ، ولذا يُسمّى ثوابُ الله أجرًا؛ لأنَّه جزاءٌ على العمل الصالح[4]، ومن ثَمَّ فالتَّعبيرُ بالأجرِ إحاطةٌ بالعوضِ النّافع بكلِّ سبيلٍ، إمّا بالمال، وإمّا بالثّواب والجزاء والمنفعة، أي: نفى نوحٌ أنْ يطلبَ من قومه مقابلَ نُصحه لهم أيَّ مالٍ، أو أيَّ ثوابٍ

(1) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1350.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5378.
(3) أبو بكر الرّازي، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التّنزيل، ص: 366.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 55.

وجَزاءٍ أو منفعةٍ بجميع أشكالها، وفي هذا دلالةٌ على كمالِ تعفُّفه عليه السلام؛ بما يكون أدعى لاستجلابِ قلوبهم نحو الحقِّ، كما أنَّ التَّعبير بالأجر أنسبُ مع حالِ نوحٍ عليه السلام؛ لأنَّ الأجرَ لا يُقال إلّا في النَّفع دون الضَّرر[1]، بخلافِ الجزاء فإنَّه يُقال في النّافع والضّار[2]، ولأنَّ نوحًا لم يطلبِ الأجرَ مقابلَ ما قَدَّم لهم من دعوةٍ إلى اللّه، فمن بابٍ أولى ألّا يطلبَ منهم مالًا؛ إذ قد يكونُ المالُ بدون مقابل.

دلالةُ تنكير ﴿أَجۡرٍ﴾:

تبليغُ نوحٍ دينَ اللهِ من غير شائبةِ نفعٍ له من قومه يقتضي وجوبَ طاعته

نكَّر البيانُ الإلهيُّ مفردةَ ﴿أَجۡرٍ﴾؛ لإفادة العموم، لكونها جاءتْ نكرةً في سياق النَّفي، فشملَتْ كلَّ أشكالِ الأجر أدَقَّها وأعظمَها، أي: أغرقَ في نفي الأجر[3]، أي: ما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ لا مالًا ولا غيره[4]، "وكونه رسولًا من اللّه – بما فيه نفعُ الدّارين من غير شائبةِ نفع منهم – يقتضي وجوبَ طاعته بلا قصور"[5]، لعظيم عفَّته، كما أنَّ التَّنكيرَ يفيدُ التَّقليل، والمعنى: (لا أطلبُ منكم أيَّ نفعٍ مهما كان قليلًا)، وانتفاءُ الشَّيء القليلِ يقتضي انتفاءَ الشَّيء الكثير بطريقِ الأولى، وكذلك يفيدُ التَّحقيرَ من قيمةِ هذا المطلوب – وهو الأجر – عند الأنبياء الذين ما بُعثوا أُجراءَ لأحدٍ، وليس منهم أيُّ التفاتٍ إلى تفاهاتِ الدُّنيا.

سرُّ فصلِ الآيةِ عمَّا قبلَها:

الأنبياءُ لا يطلبون الأجورَ إلّا مِن ربِّهم يومَ القيامة

فَصَلَ القرآنُ جملةَ ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عن الجملة التي قبلها ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾، ولم يربطهما بعاطف؛ لِما بين الجملتين من شبه كمالِ اتِّصال؛ إذ إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشَأ مِن السّياقِ؛

(1) الرّاغب، المفردات: (أجر).
(2) الرّاغب، المفردات: (أجر).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 62.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 105.
(5) الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 7/ 20.

وذلك أنَّه لمّا نفى نوحٌ سؤال قومه أجرًا على دعوته؛ نشأ توهُّمٌ أنَّه لا يسأل جزاءً البتَّة على الدَّعوة، فجاء بجملة: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وهذه الجملةُ احتراسٌ[1].

معنى ﴿إِنْ﴾، وسرُّ التَّعبير بها:

مبالغةُ نوحٍ في تأكيدِ نفْيِ أيِّ نفعٍ مقابلَ دعوتِهِ إلّا من الله

﴿إِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نافيةٌ، وقد آثرها البيانُ الإلهيُّ هنا؛ لقوَّة النَّفي بها؛ إذ إنَّها آكدُ من (ليس) ومن (لم)، ولا ينافسها في قوَّة النَّفي إلّا (ما)، ولكنَّها تفترقُ عنها بأنَّ (إنْ) لا بدَّ من أنْ تقترن بـ(إلّا)؛ لتفيدَ توكيدَ التَّوكيد، أي: إيثارُ استعمالها دون غيرها للمبالغةِ في تأكيد نوح نفي أيِّ شائبةٍ من النَّفع مقابلَ دعوته إلّا من الله، لكيلا يظنَّ ظانٌّ أنَّه جعلَ الدَّعوةَ إلى الله سببًا للأجر الدُّنيويِّ[2].

بلاغةُ القصرِ في الآيةِ:

أجرُ نوحٍ والمرسلين على دعوتهم هو من اللهِ لا من غيره

القصْرُ في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هو قصرٌ بالنَّفي والاستثناء، أي: قَصَرَ نوحٌ عليه السلام أجرَهُ على اللهِ تعالى قصرًا حقيقيًّا، وهو قصْرُ قلبٍ، أي: قلبِ معتقد قومهِ، وبيَّن أنَّ أجره ليس على أحدٍ منهم، إنَّما هو على اللهِ وحده، وفي هذا القصرِ تنبيهٌ على أنَّه لا غرضَ لنوحٍ عليه السلام من عَرَضٍ دنيويٍّ يُنفِّرُ المدعوّين عنه، ولذا وجبَ تصديقه[3].

سرُّ وضعِ الظّاهر موضعَ المضمر:

الأجرانُ مختلفان إذ لا يطلبُ نوحٌ في دعوته المالَ والعرضَ المادّي وإنَّما الثَّواب من الله

وضعَ البيانُ القرآنيُّ الظّاهر ﴿أَجْرِيَ﴾ موضعَ المضمر (هوَ) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فلم يقلْ: (إنْ هو)، للدَّلالة على اختلافِ المقصود من الأجرين؛ إذ الأوَّل يشملُ كلَّ عوضٍ من مالٍ أو منفعةٍ أو ثناءٍ أو غير

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 55.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 62.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/ 274.

ذلك، وأمّا الثّاني؛ فالمرادُ منه ثواب الآخرة، فإنَّ نوحًا لا يسألُ اللّهَ مالًا في الآخرة، وإنَّما يسأله ثوابًا.

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿عَلَىٰ﴾ دون (مِنْ):

آثرَ النَّظمُ الحكيمُ التَّعبيرَ بحرفِ الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾ دون (مِن) في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ للإشارة إلى علوِّ اللّهِ وعظمته، فهو ربُّ العالمين خالقُ الخلائق أجمعين، والمدبِّرُ لشؤونها سبحانه، والإشارةُ إلى أنَّ الأجرَ الذي وعدَ اللّهُ به نوحًا، وكلَّ مؤمنٍ هو أجرٌ فيه عزٌّ للمؤمن وعلوٌّ لشأنه، لا ذلٌّ له، كما هو الأجرُ الدنيويُّ الذي يعطيه أهلُ الدُّنيا.

أجرُ اللهِ العليِّ أجـرٌ فيـه عـزٌّ للمؤمن وعلوٌّ لـشـأنـهِ لا ذلٌّ وهوان

علَّةُ التَّعبيرِ بـ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

التَّعبيرُ بلفظ الرُّبوبيَّة التي تدلُّ على الملك والتَّربية والرِّعاية والتَّدبير والقوامة والعطاء والإنعام، في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ للإشارةِ إلى استحقاقِ اللّهِ وحده بالعبادةِ، واستحقاقِهِ أنْ يُفردَ بالسُّؤال، والطمعِ في الثَّواب والأجر منه؛ لأنَّه هو "الذي دبَّر جميعَ الخلائق وربّاهم"[1]، وهو القادرُ على الجزاءِ العظيم، وفي ذلك تقبيحٌ للكافرين الذين عبدوا أصنامًا، لا تملكُ لهم نفعًا، ولا تدفعُ عنهم ضُرًّا، بل لا تملكُ لنفسها ذلك، فهي مخلوقةٌ من ربِّ العالمين سبحانه.

استـحـقـاقُ الـخـالـقِ الـمـدبِّـرِ وحـــده لـئن يُـفـردَ بالعبادة والـسُّـؤال والـطـمـعِ في الثواب

علَّةُ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

التَّعبيرُ بلفظ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دون لفظ (النّاس)؛ للدَّلالة على عظمةِ من لا يُطلَب الثَّوابُ والجزاء إلّا منه سبحانه؛ فهو ربُّ كلِّ العوالم لا عالم الإنس فقط، فهو المتفرِّدُ بخلقها وتدبيرِ شؤونها، وأمّا إيثارُ صيغة الجمع الملحق بالمذكَّر السّالم ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دون (العوالم)؛ فلِما فيه من معنى الوصفيَّة الدّالة على العلم، والتَّغليب للعقلاء على غيرهم؛ تعريضًا بالكافرين الذين عطَّلوا عقولهم، وعبدوا أصنامًا

في عظمةِ مَن لا يُطلَبُ الثَّوابُ إلّا منه سبحانه تـعـريـضٌ بمن عطَّلوا عقولهم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 63.

لا تعقلُ، كما أنَّ التَّعبيرَ بصيغة الجمع هذه يتناسبُ مع السّياقِ الذي يُبرزُ عظمةَ اللّه؛ إذ إنَّها جمعُ قلَّةٍ لا كثرةٍ؛ تنبيهًا على جميعِ أصناف الخلائق وإنْ كثرَتْ؛ فهي قليلةٌ في جانبِ عظمةِ اللّه، ومع هذا الإحكام للمعنى جاءَ الإحكامُ للفظِ بمراعاته للفاصلةِ القرآنيَّة في الآيات، التي خُتِمَتْ بالياء والنّون أو الواو والنّون، مثل: ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، ﴿تَتَّقُونَ﴾، ﴿أَمِينٌ﴾.

دلالةُ التَّعريفِ في قوله: ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

كمالُ غناه سبحانه يشيرُ إلى استحقاقِهِ سؤالَ الثَّواب منه وحده دون سواه

(أل) التَّعريف في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جنسيَّةٌ استغراقيَّةٌ، تفيدُ العمومَ، أي: هو ربُّ جميعِ الخلائق، وكمالُ غناه - الذي يدلُّ عليه العموم - يشيرُ إلى استحقاقه سؤالَ الثَّوابِ منه وحده دون غيره سبحانه، فكلُّ العوالمِ من مخلوقاته.

فائدةُ الجملةِ الخبريَّة في الآية:

التَّنبيهُ على يوم الجزاء مقصدٌ لا يغيب عن تذكير الأنبياء لأقوامهم

أفادَ التَّعبيرُ بالجملةِ الخبرية: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الإشارةَ إلى يوم الجزاء، وكان قومُهُ ينكرون البعث[1]؛ لأنَّ المقصودَ بالأجر هنا الجزاءُ والثَّوابُ يوم القيامة[2]، كما أفادتْ أنَّ الرُّسُلَ إنَّما يَأمُرونَ النّاسَ، ويَنهَوْنَهم؛ لِما يَرجونَهُ من ثوابِ اللّه، لا لِما يَنالونَهُ من النَّفعِ الدُّنيويِّ والعرضِ الماديِّ، وفي هذا دليلٌ على وجوبِ إصلاحِ النِّيَّةِ لِمَن قام مقامَ الرُّسُلِ بالدَّعوةِ إلى اللّهِ سُبحانَه وتعالى، وأنَّ عمَلَ الإنسانِ لينالَ الثَّوابَ من اللّه ليس أمرًا ممقوتًا، بل هو طريقُ الرُّسُلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ وأتباعِه[3].

سرُّ تكرارِ قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:

تأكيدُ نوحٍ عليه السلام أمرَ التَّقوى على قومه وتقريره في نفوسهم

كرَّر النَّظمُ الحكيمُ الأمرَ بالتَّقوى؛ لأنَّها العمدةُ في جميعِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 159.
(2) البغوي، معالم التنزيل: 6/ 121، والزّحيلي، التّفسير المنير: 19/ 183.
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة الشّعراء، ص: 192.

الأعمال، فيجبُ على الإنسان ملاحظتها إذا أراد الإحسانَ وتجويدَ العمل، أي: كرَّر نوحٌ ﷺ الأمرَ بالتَّقوى؛ للتَّأكيدِ على أهمّيَّتها، والتَّنبيهِ على أنَّ كلًّا من الأمانةِ وقطعِ الطَّمعِ مستقلٌّ في إيجابِ التَّقوى والطّاعة، فكيف إذا اجتمعتا؟[1] وهذا ممّا حَسَّنَ التَّكرار[2]، أي: أكَّد الأمرَ بالتَّقوى عليهم، وقرَّره في نفوسهم[3].

معنى الفاءِ ودلالتُها في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾:

(الفاءُ) في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لترتيبِ ما بعْدَها على ما قبْلَها، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ﴾، من تَنَزُّهِه - ﷺ - عنِ الطَّمعِ[4]، أي: حضُّهم على تقوى اللهِ بعد أنْ بيَّن لهم تعفُّفه عن أخذِ أجرٍ منهم في مقابلِ ما يدعوهم إليه من حقٍّ وخير، ومصارحته إيّاهم بأنَّ أجره إنَّما هو من الله ربِّ العالمين، وليس من أحدٍ سواه، وهذا من أحكمِ الطُّرقِ التي سلكها نوحٌ ﷺ في دعوة قومه إلى اللّه[5].

علَّةُ أمرِ نوحٍ لقومه بالتَّقوى كونه متعفِّفًا فيما بين أيديهم

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القوم والجماعة:

قومُ كلِّ رجلٍ: شيعتُهُ وعشيرته، والقوم يدلُّ في أصله على جماعةٍ من النّاس، والقومُ: الرِّجالُ دون النِّساء[6]، وربَّما تدخله النِّساءُ على سبيلِ التَّبع، وسُمّوا بذلك؛ لأَنَّهم قَوّامون على النِّساءِ بالأُمورِ التي ليس للنِّساءِ أَنْ يَقُمنَ بها[7]، وأمّا الجَماعَة؛ فتدلُّ في أصلها على تَضامِّ الشَّيْءِ[8]، والجمعُ: ضمُّ الشَّيء بتقريبِ بعضِهِ من بعض،

القومُ أخصُّ من الجماعة، فقومُ الرَّجل شيعتُهُ وعشيرته، ويُطلق على الرِّجالِ دون النِّساء

(1) الهرري، حدائق الرّوح والريحان: 20/ 256.
(2) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1350.
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 324.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 254.
(5) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 262.
(6) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(7) الزّبيدي، تاج العروس: (قوم).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جمع).

والجَماعَةُ: عَدَدُ كُلِّ شيءٍ وكثرتُهُ[1]، والجماعةُ من كلِّ شيءٍ، تُطلَقُ على القليل والكثير[2]، والجماعةُ من النّاس: طائفةٌ من النّاس يجمعها غرضٌ واحد[3]، ومن هنا ناسبَ أنْ يُخاطب نوحٌ ﷺ قومَهُ بلفظِ القوم؛ كونهم شيعتَهُ وعشيرته، وهو خطابٌ للرِّجالِ، والنِّساءُ يدخلْنَ فيه على سبيل التَّبع.

الرَّسول والنَّبيُّ:

عرَّفَ العلماءُ الرَّسولَ: بأنَّه رجلٌ بُعِثَ إلى الخلقِ لتبليغِ الأحكام، والرَّسولُ في اللُّغة من يبلِّغ أخبارَ من بعثَهُ لمقصود[4]، وسمّيَ الرَّسولُ رَسولًا؛ لِأَنَّهُ ذو رِسالَة[5]، وأصلُ الرَّسول من (رسل)، ويدلُّ على الانبعاثِ والامتدادِ، والرِّسْل: الرِّفْق والتُّؤَدة[6]، والرَّسولُ يُقال تارةً للقولِ المتحمَّل، وتارةً لمتحمِّلِ القولِ والرِّسالَةِ، ورُسُلُ اللّهِ تارةً يُراد بها الملائكة، وتارةً يراد بها الأنبياءُ[7]، وأمّا النَّبيُّ؛ فهو إنسانٌ يصطفيه اللّهُ من خلقه ليوحيَ إليه بدينٍ أو شريعةٍ، سواءٌ كُلِّف بالإبلاغ أم لا[8]، وقيل: النَّبيُّ مشتقٌّ من (نبأ)؛ فهوَ مَنْ أَنْبَأَ عَنِ اللّه، وقيل: مُشْتَقٌّ مِنَ (النَّباوةِ أو النَّبْوَة)، أي: الشَّيءُ المُرْتَفِعُ، فالنَّبيُّ شَرُفَ على سائرِ الخَلْقِ[9]، والنَّبيُّ يُهمز، ولا يُهمز: الطَّريق الواضح، والأَنْبياءُ: طُرُقُ الهُدى[10].

النَّبيُّ هو من أوحيَ إليه وأنبأَ عن اللّه، فإذا أُرسل برسالةٍ وشرعٍ وأُمِرَ بتبليغها فهو رسولٌ نبيٌّ

ومن الفروقِ بينهما أيضًا: أنَّ الرَّسولَ أخصُّ من النَّبيِّ؛ لأنَّ كلَّ

(1) الزّبيدي، تاج العروس: (جمع).
(2) الفيومي، المصباح المنير: (جمع).
(3) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (جمع).
(4) المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، ص: 177.
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (رسل).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (رسل).
(7) الرّاغب، المفردات: (رسل).
(8) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (نبأ).
(9) الرّازي الحنفي، مختار الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (نبأ).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (نبأ).

رسولٍ نبيٌّ من غير عكس[1]، فالرَّسولُ الذي معه كتاب، والنَّبيُّ الذي يُنبئُ عن اللّه، وإنْ لم يكنْ معه كتاب، وقيل: الرَّسولُ من بعثه اللّهُ بشريعةٍ جديدة، والنَّبيُّ: من بعثه لتقريرِ شريعةٍ سابقةٍ، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى ﷺ، وقيل: الرَّسولُ هو من أوحى إليه جبرائيلُ خاصَّة بتنزيلِ الكتاب من اللّه[2]، وقد ناسبَ هنا التَّعبيرُ بالرَّسول دون النَّبيِّ؛ للدَّلالة على أنَّ نوحًا ﷺ يحملُ رسالةً وشريعةً جديدة من اللّه، وقد أُمِرَ بتبليغها.

الأجر والمال:

الأجرُ: في أصلهِ يدلُّ على معنيَين، الأول: الكِراءُ على العَمَلِ، والثّاني: جَبْرُ العَظْمِ الكَسيرِ، والمَعْنَى الجامعُ بَيْنَهُما: أَنَّ أُجْرَةَ العاملِ كَأَنَّها شَيْءٌ يُجْبَرُ بِهِ حالُهُ فيما لَحِقَهُ مِنْ كَدٍّ فيما عَمِلَهُ[3]، والأجرُ: الثَّوابُ، وجزاءُ العمل[4]، والأجرُ: ما يعودُ من ثوابِ عملهِ عليهِ دُنيويًّا وأُخرويًّا[5]، وأمّا المالُ؛ فمَعْروفٌ، وجَمعُه أَموال، وهو ما مُلك من متاعِ الدُّنيا، وصحَّ الانتفاعُ به، وغلبَ في النُّقود والعروض المعدَّة للتِّجارة[6]، وقيل: هو ما مَلَكْتَهُ من كُلِّ شيءٍ، وقيل: المالُ في الأَصل ما يُملَكُ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ثُمَّ أُطلِق على كُلِّ ما يُقْتَنَى، ويُملَك مِنَ الأَعيان[7].

الأجـرُ لا يكون إلّا مقابلَ عملٍ سواء دُنيويًّا أم أُخرويًّا

إذًا: فالفرقُ بين الأجر، والمال هو أنَّ الأجرَ جزاءٌ وثوابٌ على عمل، سواءٌ أكان هذا الأجر دنيويًّا أم أخرويًّا، أمّا المال؛ فقد يكون تحصيله بدون جهدٍ ولا مقابل، ويختصُّ وجوده في الدُّنيا؛ إذ لا

المـــالُ يـكـون مـقـابـلَ عـمـل، ويـكـون بـغـير عـمـل، ويـقـتـصرُ عـلى الدُّنيا دون الآخرة

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 530.
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية: 530 - 532، والجرجاني، التّعريفات، ص: 239.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (أجر).
(5) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أجر).
(6) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (مول).
(7) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (مول).

معنى لوجودهِ في الآخرة، كما أنَّ الأجرَ الدُّنيوي قد يكون مالًا، وقد يكون منفعةً، فالمالُ أعمُّ من الأجرِ من جهةٍ، وأخصُّ من جهةٍ أخرى، فهو أعمُّ من جهةِ أنَّه يكونُ أجرةً، ويكون غير أجرة، وأخصُّ من حيثُ إنَّ المالَ مختصٌّ بالدُّنيا، بينما الأجرُ يكون في الدُّنيا والآخرة، ومن هنا ناسبَ ذكر الأجر دون المال؛ إذ لم يطلبْ نوحٌ عليه السلام لقاءَ دعوتِهِ أجرًا من قومِهِ لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، كما أنَّه لم يطلُبِ الأجرَ لقاءَ ما قدَّم لهم من دعوةٍ إلى اللّه، فمن باب أولى ألّا يطلبَ منهم مالًا؛ إذ قد يكون المالُ بدون مقابلٍ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»